

مقاربة ما بعد البنيوية

د/ فيصل مر
جامعة جيجل

مثل أمثلة حقيقة "العصا" الواردة عند برتراند راسل لتوضيح وجهة النظر "الوضعية" نقطة انطلاق مناسبة قالنا هذا... فقد سئل الفيلسوف الالماني كيف كننا مقاربة الواقعة "عصا" إذا أخذنا بع الاعتبار كون ذلك اسم الله انكأ عليه، الذي إن وضعناه الماء بدا يتملى كابة، وإن نظرنا إليه من طرفه نبدى نقطة ثابتة فحسب، وإن أمسكنا به لمى صلبا فاسبا وطويلا ندا.

ما حقيقة العصا ظل هذا التصارب معطيات الواس؟ كانت إجابة برتراند راسل: إن العصا هي صلة كل هذه الآلات أذهاننا مرتبطة مفهوم متحرك نفعته بالعصا. تنصر هذه الأمثلة اركة البديعة صوب بناء صرح البنيوية وركة ال لا تقل بدعا تقويض هذا الصرح لأجل بناء صرح ما بعد البنيوية. إن للمعرفة تعرجات غريبة على مسرة تطور اختصاص ما مليئة با فاجآت. ومن غريب أمر ما بعد البنيوية أن أعلامها معظمهم سوا بشكل نشط تقويض بنيانا والتمهيد ما بعدها، وهو أمر سنعود إليه لاحقا، ذا تصدق أمثلة العصا، ورا يكون التعريف ايد ما بعد البنيوية بأنه بالضبط موعة من الأشئات الفكرية والاهات انهجية والأطيايف النظرية معها نعت اعلق - معجب أو ساخط - ما بعد البنيوية.

يبقى أمر تأثر هؤلاء ما بعد بنيوي با صادر نفسها لمب الانتباه "فقد تأثر العديد من افكرين تأثرا عميقا بفلسفة نيتشه، وخاصة برفضها لـ "وهم" الحقيقة، والأفكار اتحجرة حول الدلالة، واعتقادها بإرادة القوة وتأكيدها على مذهب دايونايسيس Dionysos اياة، ومناوئتها للمساواتية. وعلى سبيل اثال تأثر

فوكوبينيتشه أواخر المسينيات وبدأ ينتقد التاريخانية Historicisme والانسانوية Humanisme كما ندد جان فرانسوا ليوطار الذي كان مناضلا يساريا بالااد السوفيا ورجع إ فكر نيتشه. أما جاك ديريدا فهو يستحضر نيتشه كتاباته باستمرار، كما أن جيل دولوز أيضا تأثر كثيرا بنيتشه ويرى العديد من الكتاب أن ماركس يشرح هيجل بالإبقاء على الشكل الراديكالي (أي انهج ا د) والتخلص من التوي ا فظ أما دولوز ف فض فلسفة هيجل شكلا ومضمونا، ويذهب إ أن نيتشه هو أول ناقد حقيقي يجل وفكره ا د ⁽¹⁾.

إن هذا العرض المختصر يقوم بسج جيد للفلاسفة المنصوين بت العنوان الكبير الاق اغري "ما بعد النبوية" ذلك أننا من خلال الاطلاع على رأي هؤلاء افكرين ا مشروع النيتشوي نكون قد وضعنا القدم داخل مياه البحرة ما بعد النبوية.

يكن جاكسون وهويذكر لفظة "نبوية" تعليقا على بعض كلام سوس عام 1929 يعلم أن اصطلاح سيتحول بعد 20 سنة أو أكثر إ مذهب نقدي وفكري للأدنيا ويشغل الناس كل ذلك الشغل ... كان جاكسون اول (مع زمرة من زملائه الشكلايين الروس) إرساء قواعد جديدة للتأمل الأدب تكتسي طابعا علميا موضوعيا، يضيق من دائرة الذوق وسلطان الأنا والذات ال تتلاعب بالقيم دون منهج واضح، والور ا موضوع الذي يكون ب أيديها وير ا خاليا من هاجس بلوغ ا حقيقة وخاليا من هاجسي الإقناع والتبرير لأجل توصيل القيمة ال تكون الذات تقي با.

سيقول ارسى ا قيقى لقواعد اذهب البنيوي "كلود ليفي شتراوس" عن هذه الذات ديدا "... الأنا: طفل الفلسفة ا د ل الذي لا تمل؛ جاء ليشغل مكان الصدارة فوق خشبة المسرح الفلسفي، فوقف بذلك حجر عثرة وجه كل عمل جدي، نتيجة لرغبته استمرة الاستثارة وحده بكل انتباه" ⁽²⁾.

وهو كلام د له صدى عند أهم الفلاسفة ما بعد البنيوي : ميشال فوكوالذي يقول "إذا كان شيء لا يرقى إليه الشك بأي حال من الأحوال، فهو أن الانسان لا مثل البتة أقدم ولا أدوم مشكلة طرحت على اعرفة البشرية ... فلم يكن الانسان هوا ورا الأوحد الذي طالما ظلت اعرفة وم حوله وحول أسرارته بتلك الصورة

الغامضة ابهمة أو على ذلك النحو مستمر الدائب ... و اق أن الانسان اختراع جديد تظهر لنا الأركيولوجيا - بكل سهولة - على أنه يرجع إ عهد حديث، وأنه قد يصل - مستقبل - قريب إ نايته ا تومة"⁽³⁾ .

ولكنه وجب علينا كتوطئة أن نورد ملخصا ففا عن ا صيلة البنيوية كتوطئة لفهم سياق الفكر والنقد ما بعد البنيوي .

على عتبات الفكر البنيوي

إن البنيوية هي "منهج فلسفي وفكري ونقدي، ونظرية للمعرفة تتميز با رص الشديد على الالتزام بدود انطق والعقلانية، ويتأسس هذا ا نهج على فكرة جوهرية مؤداها : أن الارتباط العام لفكرة أولعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض على أساس العناصر اكونة ا، أما تلك العناصر فلا يع با ا نهج إلا من حيث ارتباطها وتأثرها بعضها ببعض نظام منطقي مركب"⁽⁴⁾ .

لقد جاءت البنيوية تطورا طبيعيا لس ورة فكرية تعود إ ناية القرن السادس عشر؛ أي بدءا من الفلسفة التجريبية على يدي "لوك"، و"هيوم"، مروراً إ الفلسفة ا ثالية على يدي "كانت"، و"هغل" و"ديكارت" وصولاً إ الفلسفة الطاهرية عند "هوسرل" و"هيدغر"، ويعيدنا هذا ا دل إ الكلام عن أصول الفكر ا دائي الذي يرجع به كئ من اعلق > العصر اليوناني... وهي حال الفيلسوف التفكيكي "جال ديريدا" وصراع ثنائية الداخل وارج ب من يرى ا قيقة (ا ع) موجودة ا ارجي (الطبيعة)، وب من يراها فارة العقل كمرکز للمعرفة والإدراك. كما أن هذا التسليم ينشأ من فراغ بل إن الربط " ا ألوف " للبنيوية بفلسفة " كانت " له ما يره، وهو تأسيس " كانت " لفلسفته العقلية (ا ثالية) على أساس مبدأ النسق، إلا أنه اتكأ على العقل كمرکز للنظر للمعرفة أو كنسق يس ها، > أن البنيوية استندت إ اللغة⁽⁵⁾ .

إن الربط ب البنيوية والفلسفة الكانتية كئ الورود؛ يقول "بول ريكور": إن البنيوية هي " بنية دون ذات، لأن قوام هذه الفلسفة أنا عل من النموذج اللغوي وذا مطلقا بعد أن عممته شيئا فشيئا "⁽⁶⁾، والغالب عند الدارس أن ا ركة الشكلاية

روسيا هي السلف الشرعي لللاه البنيوي، وقد برزت بدايات القرن العشرين عقب وفاة ألسانيات فردينان دي سوسوسا نشوء البنيوية عن طريق اليهود اللغوية اللسانية إذ بذلتها ثلة من الباحث والنقاد واهتم بدراسة اللغة والنص الأدبي... من أمثال "رومان جاكوبسون"، و"فلاد بروب" و"تيناوف" و"بوريس إيبانوف" و"فيكتور شكولوفسكي". وكان شهم الرئيس عن مفهوم أدبية الأدب وهي "جوهر الأدب" و"هنا ليس بالعلماء الفلسفي للأشياء، وإنما يعبره ببساطة ألسانيات الأدب وصدق ما فيه من عاطفة، وأدفاً ما جوه، وأروع ما نسجه..."⁽⁷⁾.

إن النهج البنيوي الفكر الأدبي والنقدي والفلسفي كذلك، وميدان الدراسات الإنسانية عموماً ينبثق من العدم، ولعل الأبرز والأهم كافة تلك الإلهامات ما نشأ مطلع القرن حقل الدراسات اللغوية وعلى وجه الخصوص بتأثير من العلامة فردينان دي سوسوس (1857-1913) وكتابته الشهيرة (دروس الألسنية العامة)، أين أقر بأن اللغة يجب أن تدرس كعلم مستقل بذاته، يدرس ذاته ولذاته (حسب التعبير الذي صار مشهوراً والعائد إلى سوسوس) ذلك أن العصور السابقة قد تعودت على دراسة اللغة على ضوء علم آخر أو من أجل خدمة صصوص أو نصوص ليست هي جوهر اللغة... وبذلك حول سوسوس اللغة من وسيلة الدرس العلمي إلى غاية... وكان أساس تفكيره هو دراسة علاقاتها الداخلية دراسة علمية تكشف عن الدلالات الكلية الدقيقة لقيمها الكلية أو القصصية، وهذه هي الغاية التي ارتكز عليها البنيويون، والاول فيما يأت أن نضياء أهم جوانبها:

أصل كلمة بنيوية تأتي من Struere ومعناها البناء، ومن أجله للاتباع قول "جورج مونان" الذي معناه أن كلمة بنية ليست بالرواسب وأعماق ميثافيزيقية إذا ما تأملناها ملياً، فهي تدل على البناء معناه العادي المسطح... أما ما عاين الفرنسي فهو كلمة Structure واما عموماً دلالات تلتفة، من قبيل النظام ordre التركيب Constitution والترتيب Disposition والشكل Forme أو يكتلة Organisation⁽⁸⁾.

أما العربية فقد وردت كثيراً كمشتق من "ب.ن.ي" ولكن كان لا تمنا كثيراً... وهذا المصطلح استعمالاً عديدة ميادين علمية تلتفة كالكيمياء، علم الاجتماع، الاقتصاد، والبيولوجيا، والرياضيات، وخاصة الفلسفة.

لقد جاءت النيبوية كمفهوم فلسفي و ولت إ فلسفة معاصرة عرفت خصوصا فرنسا بدءا من الستينيات، وقد جاءت كحل شكلات الفلسفة الوجودية ال كانت قد بدأت تترهل، " وعندما نتحدث عن النيبوية بوصفها منهجا و، النيبوية بوصفها مذهباً فلسفياً يتوخى الشمولية تفهماته ويستخدم لميات العقل والاتات / تباينة، هذا يؤدي إ نتيجة مبدئية وهي أن النيبوية بوصفها منهجا قد ه " (9) .

إن الغالب عند الدارس هوان النيبوية طريقة ث الواقع عموما وإ الا، لا الأشياء على انفراد، إنا ث العلاقات ب هذه الأشياء، وقد يكون التعريف الأمثل والأشهر والأصح للنيبوية هوكونا " اولة نقل النموذج اللغوي إ حقول ثقافية أخرى " (10) .

لقد أخذت النيبوية عن سوس وصفه اللغة بكونا نسقا من الإشارات، وكذلك تأملاته طبيعة الإشارة وكونا اعتبارية، تفريقه ب الدال وادلول من ناحية، واعتباره للعلامة ذلك الكل الذي يتركب منه الدال وادلول من ناحية أخرى تفريقه بعد ذلك ب اللغة (Langage) والكلام (Parole) من حيث كون الأول زونا ذهنيا للجماعة البشرية، والكلام الذي هوإضافات ا تحدث لموع القواعد ال تعلمها من أجل التعب عن فكرة أورسالة، عمل سوس على التفريق ب الآنية (Synchrone)، من حيث هي دراسة اللغة بوصفها نظاما عصريا، و الزمانية (Diachronie) من حيث هي دراسة اللغة من حيث تطوراتا و ولاتا التاريخية. ومن الأفكار ال أثرت النيبوية كذلك ما اعتقده "سويس " حول اللغة من حيث كونها " بنية مكتفية بذاتها، ومرة ذاتيا " (11) ... وهو التمييز سيولد فكرة مركزية التفك النيبوي... إنه مبدأ "العزل" الذي سوف ينتقل فيما بعد إ تلف التخصصات، فيتم التمييز ب البنية و ادة، و الفونيم والألفون، و ا ورفيم والألومورف، و ا يثيم والأسطورة، ب الوحدة وتنوعها... وسيجد لاحقا صيغته الأيديولوجية كلمة "رولان بارط" "اللغة ليست ليد الية ولا د قراطية، إنا بكل بساطة فاشية" (12) ... أي أنا تبسط سيطرتا ا مطلقه على موضوعها وتسيطر كذلك على أذهانا و دد الصيغة ال نفكر با.

من خلال مبدأ "العزل هذا، تتعامل النبوية مع النص بوصفه مادة مستقلة معزولة عن سياقها وعن الذات القارئة، فالنص مستقل أما عن أي شيء إذ لا علاقة له بالية والتمع أو الأفكار أو النفسية. إن العلاقة بالاديب مثلا ويطه موجودة ولكنها لا ينبغي أن تر وجود النص فيص الع الوحيد للنص هو يه هذه اعطيات اارج- نصية فحسب... وهذا ما يوصل رولان بارط مقاله الشه جدا "التحليل النبوي للقصة" إ أن يعرف القصة بأننا "موعة من امل " فحسب... وهو كلام لوعاد قدامى النقاد من القرن التاسع عشر وقرؤوه روا صرعى .

تتميز النبوية صائص ثلاثة: الكلية أو الشمول، والتحول، والتنظيم الذا ، فكأن البنية سب النبويون هي ما يضمن للعقل فهم الواقع والتأكد منه والسيطرة عليه كما يرتكر النهج النبوي ارتكازا على مرجعية البنية اللغوية لإضاءة النص وفرز العناصر اكونة له، والكشف عن العلاقات اختلفة ال تصنع تعدد الدلالات فالانساق اللغوية هي ال تعطي ادلولات و ددها؛ بل ودد الشكل التركي للعبارة يث يكون هناك تفاعل أكيد بينهما، فرصد السياق الإبداعي يسمح لنا بفهم العديد من العلاقات التركيبية ب أجزاء الكلام.

وهكذا فإن تتبع تكوّن املة شكليا، بوصف بنيتها وما يعرض لأجزائها وعناصرها، يتيح لنا فهم كيفية ارتباط اع جموعة الألفاظ انطوفة واكتوبة، وكلما كنا من وصف بنية املة زاد وعينا بالعلاقات ب الشكل واضمون. تقول "دلية مرسلتي": "من /ؤكد أن النبوية أتاححت تقدما جديا وموضعة الإجراءات /ستخدمة، وأدت /أعمال تدف /الإحاطة بالتخيل الأد من وجه نظر نظامية ودفقة ذات فعالية عملياتية أكيدة" بارط، برون، تودوروف، فراس، بروب، والشكلانيون الروس: شكوفسكي، وتوماشيفسكي وآخرون ...⁽¹³⁾.

التحولات ما بعد النبوية:

من خلال هذا العرض كننا أن نفهم مواقع كثة على خارطة الفكر ما بعد النبوي، فابتغى اليقي الذي ولدت كنفه النبوية يتعارض تعارضا كليا مع

والرب، النقر، وغا، تفى باقية كما يفرضها طاهرها، وهي مبادئ مع تلف التيارات ما بعد البنيوية.

تقول "آن إينو" تعريف السيميولوجيا إنا، أول، لى وعي بنيوي لعملية الاستقراء، والتعبير ينطوي على مفارقة إذ أننا نعلم كلنا أن الاستقراء عا، عملية عشية، وذلك بسبب الطبيعة التشغيلية لتداول عا، الذهن البشري، وبناء على هذا تصبح كلمة أول، إاور "الوعي البنيوي" تشكل هدماء صرا للمبادئ "العلمية" التجريبية اليقينية إنا نشأ الفكر البنيوي كنفها... إنه كسر قولات مثل الانغلاق والاكتفاء والكمال، وهي مقولات تصف الوعي البنيوي با معرفة.

إنا نتحرى الدقة بقولنا "معرفة" بدلا من كلمات أخرى، لأن إنا ما بعد البنيوي مناخ شامل يختلف جوانب معرفة لا الفلسفة والنقد الأدب أو اللغوي فحسب. در بنا هنا ذكر الرمز الأعلى إنا إناخ والذي هو الفيلسوف فريدريك نيتشه وقد أراد له حظه العاثر أن يأمرحلة كانت الانسانية فيها مشبعة بتقديس العلم والالتزام السياسي والنمطية الاجتماعية والفلسفات ذات اقولات الكى النهائية التامة الكلية... كاركسية وبعدها إنا الفرويدي... وإلينا من أجل ليل دقيق أن نستحضر ما يتماشى مع هذه إناخات من انعكاسات عميقة غائرة على استويات الاجتماعية والايديولوجية والسياسية.. و تلف التمثلات والتمثيلات الثقافية.

لقد جاء نيتشه مشككا إنا العقلية والبنيات العميقة للفكر وإنا صارة الغربية ومشككا الآلة، وإنا عارف التجريبية و تلف أشكال اليقينية إنا تترتاح البشرية دائما إليها.. إنا نيتشه ظلالة لدى فلاسفة كثر ينضوون تحت الالفة إنا ما بعد البنيوي... والملاحظ لدى إنا تأمل ادقق هو أن نيتشه هو الفيلسوف السابق للقرن العشرين إنا فضل لدى أبناء القرن العشرين، وخصوصا لدى ما بعد إنا ولدى ما بعد البنيوي.

كنا ما حدث التماهي إنا ما بعد البنيوية وما بعد إنا دائة، وكما هي إنا دائما حينما يتداخل مفهومان متقاربان الأذهان، إنا إنا فريفا يفرق تفرقة دقيقة إنا إناهم وإنا يضعهما سلة واحدة، إنا إنا لنجد رمزا مثل رولان بارط

يعده المؤرخون مفكراً رئيساً من مفكري البنيوية، وتعدّه المدرسة الأم يكية من المهدين الركائز بعد البنيوية إطار ما سيمى بالنظرية الفرنسية French theory، وذلك من خلال عمله كسيميولوجي عتيد على هدم انغلاق البنية ورفضها للذات وللماحول مكثفية با موضوع وبأنساقه الداخلية.

د كذلك ميشال فوكويرد مرارا بأن عمله مستقل اما عن الثنائية الضدية بنيوية / ما بعد بنيوية... وإن كنا بصدد ري الصدق فإننا سنقول إن ما يفعله كل هؤلاء افكرين بدءاً من 1968 هو خلق "جومر " و"مناخ أكادي" سينتج أفكارا ينضوي تها أو مداراتا كل ما يدرج - إن بتسرّع أو بتؤدّة - ضمن ما يسمى بتيارات ما بعد البنيوية .

إن استعمال صيغة ا مع الدال على تعددية الات عمل ما بعد البنيوية، بدءاً من أسباب نشأة هذا الـ "ما بعد POST" الـ تتراوح اما ب الرغبة معاة حدود البنيوية و دودية ط تعاملها مع مواضيعها، وب الرغبة الذهاب إ طلة أخرى برفض ا اث البنيوي برمته⁽¹⁴⁾.

لقد سعى ما بعد البنيوي إ طي النموذج اللغوي الذي دارت حوله البنيوية من منطلق أنه وذج منقوص عقر داره... إن النظر إ كل موضوع من مواضيع ا عرفة على أساس كونه وحدة قابلة للتجزئ إ وحدات صغرى تربط بينها علاقات كمثل العلاقات النحوية الرابطة ب عناصر ا ملة هونظر فاصر بالضرورة لأن اللغة تعمل داخل التركيب النحوي وخارجه.. وهذا ما ب أن ينتبه إليه العا الفذ... إن الصمت هو جزء من اللغة، والسياق كذلك، وكذلك السياق ا يط بالكلام.. وقد ركزت السيميائيات حول هذا البعد الغائب عن اللغة، أو حول القدرة الفائقة للغة على أن تومئ إ عناصر غائبة عن بنية ا ملة و تلكة لطاقة حضور كي⁽¹⁵⁾.

إن ا شروع السيميولوجي لياً مصححا للمشروع البنيوي من خلال استنطاق طاقات التدليل الكامنة أعطاف البنية وال هي مع ذلك غائبة عن عناصر البنية التركيبية وعن الأنساق الرابطة ب هذه العناصر.

كان جاك لاكان يرى- من زاويته ا ماصة - بأن فكرة سوس حول إمكانية عزل اللغة عن الذات لتص موضوعاً نسلط عليه طاقة ا عرفة أو الدراسة أو الرغبة

الإحاطة، فكرة خاطئة ملها ويرى "أنا كلنا غارقون اللغة اليومية ولا كتننا ا روح منها"⁽¹⁶⁾، بل إنه يذهب أطروحاته إ تدخل غامض وضبا ، "الأنا" واللغة الصادرة عن الذات (واجهة الأنا الاجتماعية) ..فتص اللغة فحا للذات لا أداة ا. و مثل على ذلك با مل اللغوي الذي يصيب ارضى النفساني ، وكذلك الانغلاق الفكري التام لعدى القدرة على الاشتغال اللغوي من ارضى ..على جانب آخر "يرى لاكان أن الدلالة ت ز فقط من خلال ا طاب كنتيجة للانزياح على طول سلسلة دلالية، وعلى غرار "ديريدا" يصر على قابلية ادلول للتغ وعلى إمكانية توظيفه كدال بدوره. وبالطبع يترتب عن عدم التطابق هذا ب اللغة والواقع (أي الطبيعة غ التمثيلية للغة) أن ادلول يبقى دائما مؤقتا"⁽¹⁷⁾ وهي فكرة دها عند كل افكرين ما بعد البنيوي ، وهي فكرة نيتشوبية بامتياز لكي نعود على نيتشه الذي قلنا إنه الابن ادل للفكر ما بعد البنيوي؛ استعارة للصيغة الشهية لليفي شتراوس حول الذات .

وا لاصة هي أن الدال نظرة لاكان للغة يدل دائما على دال آخر ولا لموأي كلمة كانت من الازية (والاز هو اخلال دال ل دال آخر) ويتحدث لاكان عن "انزلاق" على طول السلسلة الدلالية، من دال إ دال و ا أنه بإمكان أي دال أن يدل بأثر رجعي بعد حدوث فعل الدلالة فليس هناك دلالة مغلقة كاملة ومرضية"⁽¹⁸⁾.

إن اللغة بذال انطور تص كينونة نعيش داخلها، ويصبح التوقع البنيوي الاستغلالي الذي يسمح بالنظرة الشمولية والدراسة اوضوعية ضربا من العبث، إن الذات متشابكة مع اوضوع ضياع كلي للحدود يث يص اوضوع جزاء من الذات، وتص الذات متورطة خلق منظور حول اوضوع مل هذا الأخ منقوصا لأنه غ دد بشكل قابل للاتفاق عليه، أي بشكل قابل للتجريب والفحص .

يوقعنا هذا الكلام مباشرة التأملات اامة ينشال فوكو حول ا طاب الذي مله تنظيما ادعا يهدف إ خلق سلطة مهيمنة خارج البنية ا طابية، تيمن عليها من الداخل (دون أن تظهر) ومن اارج دون أن تتحسسها"⁽¹⁹⁾

النقطة الثانية ال تباين ب البنيوية والتأملات الفوكوية ا طاب هي الاصرار على الانتشار الزما للعناصر ا طابية، وما يشبه فراغ اللحظة ا طابية من أية كثافة،

يث أننا إذا رما تأمل أي تشكيل خطا طلة معطاة، خارج السورة التاريخية فإننا سنكون قد رما استحيل⁽²⁰⁾... وهذه نقطة تمتع حوا فيلسوفان ما بعد بنيويان، ديريدا وفوكو، فقد قال الأول بالتفكيكية وقال الثاني بفريات البناءات التحتية الغية، وقد ربطا اللون والعقول بالفكرة أو، افكرين إ درجة نشوء خصومة كى، الفيلسوف، اولة من كل منهما لتبيان وجوه اختلاف نظرتهم عن نظرة الآخر.. إلا أن نظرتيهما للدور الط للتشكيلات الطابية رسم الحقيقة، و تعي ما كنهه أن يوسم باليق تطلان نظرتهم مقارنته .

"إن ما بعد النبوية أصبحت أحد لمياتا طريقة مناسبة للتهرب من القضايا السياسية؛ فقد حركت أعمال ديريدا وهذه موجة كبيرة من الشك الفاهيم الكلاسيكية للحقيقة والواقع والعرف. فإذا كان الع - أو أدلول - إنتاجا عابرا من الكلمات والدوال المتغيرة باستمرار، المتأرجحة بالضور والغياب، كيف كن أن تكون هناك حقيقة ددة أومع على الإطلاق؟ وإذا كان الواقع يتشكل بواسطة خطاباتنا عوض أن ينعكس من خلا فكيف نعرف الواقع نفسه عوض أن نعرف خطابنا فقط؟ وباعتبار هذه الدوغمائية لا كتنا أن نعرف أي شيء على الإطلاق، كل واحد منا سح خطابه"⁽²¹⁾.

هذه الفكرة يدفعها مفكرون آخرون مثل ريتشارد رور ودونالد ديفيدسن إ نقطة أبعد حينما تمعان (رغم اليون ابديي بينهما) على عد الاستعمال اللغوي لزمان معطى شديد اللصوق بالذوات المساة خلقه وبمارسات التمتع السات إظهاره يث يص عسا (بل مستحلا، عرف ديفيدسن) أن ترجم نصا قداما إ لغة حديثة. و مقولة مع أشاتان من الأفكار يقول جوناثان كالر "وعندما أصبحت النبوية حركة أومدرسة بدأ أنظرون يتعدون عنها، فقد بدا واضحا أن أعمالهم كانوا يعنون بنيوي، تتماش مع النبوية كمحاولة للتحكم البنيات وتنظيمها، وبدأ ينظر إ بارط ولاكان وفوكو على أنم ما بعد بنيوي. لأنم تعدوا تصورات النبوية الضيقة"⁽²²⁾.

و كتنا ضرب مثال على هذا الكلام بالتقسيم البليغ الذي جاء به جارجينيت كتابه "أطراس" 1982، وهو يقر بأن هناك نوع من التفك النبوي أحد النبوية

الانغلاق وثنائهما بنوية الانفتاح كما يسميها، وقد ضرب مثالا للنوع الأول بالدراسة الشهيرة لميل قصيدة "القطط" لبودل والآخرها رومان جاكسون معية كلود ليفي شتراوس، > رأى جينيت نفسه ملل النصوص فيما بعضها ين بعضا، فيص مع النص منوطا مان تأ من خارجه وهذا مضاد ما رأينا أعلاه من مبادئ النبوية. و كتننا الوقوف على قراءة مثلة لأعمال البنيوي ترى بأن "كثا من اوافقا رتبطه ما بعد النبوية كانت واضحة > الأعمال الأولى هؤلاء افكرين عندما كان يعتقد أنم بنيويون، فقد وصفوا التشابك الذي حدث به النظريات والظواهر الأولى النظريات وصفها، والنصوص التي تنتجها لمق الأعراف التي شخصها التحليل البنيوي، كما أفروا بعدم إمكانية بناء نظام دلالي كامل ومتناغم، لأن الأنظمة حالة تغ مستمر"⁽²³⁾.

ورما يكون اسرارها ديرا بالتأمل لأعمال رولان بارط بليغا الدلالة على هذه الفكرة، نقد بدأ بكتابة "ميتولوجيات" فارتأ للظواهر الثقافية لفنية نظامية غ متقصدة للزاوية البنيوية، مر رحلة بنوية صرة مع بداية الستينيات ثلها > ثيل مقال ذائع الصيت " التحليل البنيوي للقصة" .. ولت أعماله إ سيميولوجيا منفتحة مثقفة مضادة للانغلاق البنيوي وللاحتميات والكليات واليقينيات التي رافقت نشأة البنيوية.

" الواقع ليست ما بعد البنيوية كشفا لنقائص وأخطاء البنيوية فحسب بل هي أكثر من ذلك، عزوف عن مشروع أولية فهم الظواهر الثقافية وتركيز عوض ذلك على نقد المعرفة والشمولية والذات، ويعامل كل من هذه كإشكالية، فبنيات الأنظمة الدلالية، كمواضيع للمعرفة، ليس ما وجود مستقل عن الذات، بل هي بنيات لذوات متشابكة مع القوى التي تنتج تلك البنيات"⁽²⁴⁾.

إن هذه الأفكار تسقط وهم البنيوية المتمثل ميز "الكمال" و"الثبات" ... فاطاب ينطوي أبدا على غموض وانزلاق وانغلاق غ قابل للمعاصرة النهجية، وعلى خداع واتلات مستعصية على الإحاطة.

ومن الواضح أن الدور الرئيس هذه المرحلة يعود إلى تدخل الذات؛ هذه الأداة ما بعد البنيوية التي دها شديدة الصور لدى فلاسفة "النظرية الفرنسية" كعنصر

مضاد للكلية واطلقة والاستعلائية، " إن خلاصة ما يقوله ما بعد البنيوي مثل ليوطار هي أن هناك حياة أشياء كثرة أهم من السياسة قى، فإذا انمكننا السياسي نسينا ما ري " هنا، الآن" واركسيون دائما ينتقدون الوضع انا بالنظر إ وضعية مثالية واطرفون يتعنون لدرجة أنه لا وقت لديهم للتمتع باياة، واثالية كما هي الآن تعزلنا عن ااضرب عوض أن نإ تمتع متكامل يكون قد وجد ااضي أن سد مظاهر اياة اعاصرة وبيرد ما بعد البنيوي جيد كل العناصر ااهلتهما النظريات الكليانية، لذلك دهم يركزون على اامشي واسته⁽²⁵⁾.

الفكرة الأخرى ال تولدت عن الفكر ما بعد البنيوي هي التمجيد الشديد بدأ للذة، وذلك بالنظر إليها كطاقة فعالة لإخراج مكنونات العقل ال غالبا ما تكبحها ميكانيزمات الأداء العقلي الواعي؛ أي الأخلاقي (وفق أخلاقيات التمتع ال رج من دائرة التوافق إ دائرة السلطة ارتكزة على التراكم التاريخي)... إن ذا النمط من جيد للذة مظهرات ثقافية معاصرة كثة، فقد اوز افهوم ما بعد البنيوي عتبات الدرس الأد واما بوابة التمظهرات الثقافية متنوعة، فيمكننا دراسة أنظمة اوضنة اوفلسفة وسائل الإعلام ونظريات التواصل لنجد أن مبدئي اسؤولية والالتزام اللذين سيطرا على فكر ما ب ارب وكذلك ما بعد ارب الكونية الثانية قد أخذ يترك مكانه تدرييا بدأ للذة واتعة والراحة واللعب واللهو جيد الذات استمتعة و اسد انتشي واماال الظاهري وعبادة اسم والشكل واية و كل تلك القيم الرائجة أفكار أساط ما بعد ادائه (ولنتذكر هنا ذلك التماهي الذي بدأنا به دراستنا ب القيم ما بعد البنيوية والقيم ما بعد ادائية)...

إن هذه الأفكار خلفية كبة الدراسات النفسية للاكان وفيليكس غوطاري وجيل دولوز... وقد: "كتب ليوطار (... عن التوتر ااطا والتصويري، أي ب الكلام والصورة كتاب عنوانه ااطاب/ الصورة discours/figure فقد كان دائما مولعا بكل ما هو لغوي... كما انتقد نظرة لكان القائلة بأن اللاشعور هو "آخر اللغة" وربكه بالتمثيل التصويري، كما ربط ما قبل الشعور باللغة. فاللغة ترتبط بالرقابة والكبت والقمع، أما التمثيل التصويري ف تبط بالشهوة ارق، ويرى ليوطار أن الفن اديث

مشتت و رر، و مثل كل من التشيت والتشويش اولة لتسليط الضوء على عمليات اللاشعور. وهكذا يستدعي الفن حتما زعزعة الأعراف⁽²⁶⁾.

إن إحدى الأفكار الأكثر تعارضا مع الفكر البنيوي إطار مشروع ما بعد البنيوي هي فكرة الاختلاف الـ يل أيضا على اللعبة الكلامية الـ اقترحها "جاك ديريدا" اختلاف/تشيت أو إرجاء Différence/différance والـ فحواها أن النصوص تلك طافات لإرجاء الـ الذي عودتنا الكلاسيكية على كونه مغلقا نائيا متنها مبتوتا أمره، طافات عل القراء تلكون حق" الاختلاف" تأويل الـ ، وإرجاء هذا الـ النهائي إطار "لغة" انزلاق ادلولات على أرضية ادليل، وهكذا يعوض "الاختلاف" السويسري الواف خلف مشروع البنيوي بذا الـ "اختلاف" الديردي ا رسي للمشروع ما بعد البنيوي...⁽²⁷⁾.

يعيدنا هذا افهوم إـ ا لمفية النيشاوية، لأن نيتشه كان قد وقف ضد التفك من مركز الثنائيات الأرسطية الـ استمرت > ا دلية ا يغيلية . الثنائيات الـ تنظم كل القيم وكل الأفكار فتقصي ما شذ عن طرفيها اتجادا أو تقابل وقد كان هذا أحد ا واضع الرئيسية الـ دار حوا كتاب " جيل دولوز" 'نيتشه والفلسفة' 1962، قائلا بان قيمة الاختلاف هي قيمة مستقلة عن الذات وا موضوع، قيمة رئيسية أصلية أصلية غ قابلة للاختزال إـ قيم تكون وحدات اصغر، فالتعدد ناموس من نواميس الكون والاختلاف هو الوجه الآخر للتعدد فهو قيمة بانية للخلق، للطبيعة وللمع . ويتحول الاختلاف لدى ديريدا إـ قيمة عابرة للزمن أو مشتتة أو مؤجلة على ور الزمن، لكي تص القيم "آثارا" على خط الزمن، وتضع التقنيات بأنا مؤجلة إـ زمن يات بعد، ومزلزلة بفعل مضى وانقضى حاملا معه صيغة أخرى ماضية تاركة آثارها ا مضر ... وبذا الشكل يص الاختلاف قيمة حتمية متحركة الزمن... وهي قيمة تزلزل البنيان البنيوي فتفقد أسباب وجوده.

يقول ديريدا على هامش هذه الفكرة " ر ا على الفلسفة أن تدخل اعتبارها هذا الغموض وهذا التداخل، أن تفكر فيه وأن تفكر من خلاله نفسها، أن عليها أن تتقبل التعددية والاختلاف أفق التوقعات الذي هو أفق جوهرى الفلسفة"⁽²⁸⁾.

فكرة ثالثة هي انحدره من التأملات ما بعد النبوية ا طاب، وال تؤدي بنا
إلى الاعتقاد بأن ا طاب والذهن اشكل له أوالصائع له واطلفظ به صلة دائرية؛
يث أننا رور الزمن نصيح عاجزين اما عن الوعي بالفاعل وافعول به، ذلك أننا
نصوغ خطابات تع لنا نص سجناء تلك ا طابات، ال تصبح تتحكم
مصائرنا، ويتحرك هذا ايكانيزم إطار خلق علامات هيمنة علنا عاجزين عن البت
النهائي السؤال: هل الإنسان هو الذي يتحكم ا طاب أم العكس؟
من ائ للانباه أن "فوكو" مع بداياته انتمى إلى التيار النبوي، وأدرج ضمنه
بسبب الات الاهتمام ا تقاطعة مع ذلك التيار، ح ده يعلن عن مل الأفكار
ال ترسم مساره الفلسفي الثري وامتيز بالاختلاف التام عن النبوية كتابه
"الكلمات والأشياء" Les mots et les choses الصادر عام 1966 أي عز
سطوة التيار النبوي الذي كان آنذاك أوجه .

فكرة أخرى صارت سب على ا ا ما بعد النبوي هي جيد اللذة كقيمة
فلسفية، و ا اذها قيمة بديلة لقيمة "ا مسؤولية"، قيمة تعمل على رير الانسان من ضغط
ا ياة والفكر والصراع، وكل ذلك لفائدة التسلية والراحة والانسباط والتخفف من الأعباء.
إنه ا اه فاض عن حدود الفلسفة ليلمس الدين والتواصل والاجتماع والأدب أيضا.
إن ذا النمط من جيد اللذة ظهيرات ثقافية كثة الثقافة ا عاصرة، فقد
اوز افهوم ما بعد النبوي عتبات الدرس الأد و ا بوابة التمظهرات الثقافية
ا تنوعة، فيمكننا دراسة أنظمة ا وضة، أو فلسفة وسائل الإعلام وكذلك ا لمقيات
السوسيوقافية لنظرية التواصل، لنجد أن مبدئي ا مسؤولية والالتزام اللذين سيطرا على
فكر ما ب ا رب وكذلك ما بعد ا رب الكونية الثانية قد أخذ ا يتركان مكانما
تدر يا بدأ اللذة واطعة واللعب والراحة والتسلية و جيد الذات ا ستمتعة و ا سد
ا تنتشي و ا مال الظاهري وعبادة ا سم والشكل و ا يئة... وكل تلك القيم الراجعة
أفكار أساط ما بعد ا دائة (و در بنا هنا أن نذكر بالتماهي الذي بدأنا به دراستنا
ب القيم ما بعد النبوية والقيم ما بعد ا دائية)....

إن ذه الأفكار خلفية كبة الدراسات النفسية لـ "لاكان" و"فليكس غوطاري"
و"جيل دولوز" وقد كتب ليوطار عن العمق الشديد للأثر النفسي للتوتر ا طا

والتصويري، الكلام والصورة كتاب عنوانه "أطاب/الصورة" discours/figure، وقد كان دائما مولعا بكل ما هو غ لغوي، كما انتقد نظرة "لاكان" القائلة بأن اللاشعور هو "آخر اللغة" وربطه بالتمثيل التصويري كما ربط ما قبل الشعور باللغة. فاللغة ترتبط بالرقابة والكبت والقمع، أما التمثيل التصويري فتبطل بالشهوة والرق وبرى "ليوطار" أن الفن الحديث مشتت وثر وثل كل من التشيت والتشويش اولة لتسليط الضوء على عملية اللاشعور وهكذا يستدعي الفن حتما زعزعة أعراف A41. كتنا هذه ارحلة من هذا العرض السريع لبعض مواقع الاشتغال ما بعد البنيوي أن نستخلص لمة من الأفكار وعلى رأسها عودة الذات إ شيء من التلاعب با موضوع بعدما عمل القرن التاسع عشر وبداية القرن 20 على بيدها بتلك اجة ال صاغها "ليفي شتراوس" قائلا بأننا مثل الطفل ادلل للفلسفة وذلك أعقاب ظهور الة العلمية واداية والكلانية ال كانت لم نظومة ترانساندتالية يط باعرفة والكون والإنسان، وتصل إ صياغة منظومات للوعي والفهم ولتفكيك ميكانيزمات التاريخ والكون والاجتماع والاستطان أيضا.

الفكرة اركزية الأخرى هي تأخر اليقينية الكلانية لفائدة الربية والاختلاف وا زئية والتشيت وراجعة وساءلة والإرجاء...وهي كلها قيم اقرب إ جوهر الإنسان، الذي عاد مع ما بعد البنيوي ليحتل اكانة اركزية الفلسفة والفكر...إن مدار ث الإنسان هو الإنسان وليس انظومات اطة به.

اوامش:

1. مادن ساروب: - دليل هيدي إ ما بعد البنيوية وما بعد ا دائة- منشورات الترة اللسانيات والأدب- جامعة قسنطينة- 20043-ص 127.
2. زكريا إبراهيم: مشكلة البنية- مكتبة مصر- مصر-دت-ص 5.
3. م. نفسه-ص 5.
4. حجازي: معجم اصطلاحات اللغوية والأدبية ا دينة- دار الراتب- وت- ص ص 201/200.
5. خذ ذوي: البنيوية والعمل الأد - ص 23.
6. م. نفسه-ص 24.
7. فيصل الأ ر: الدليل السيميولوجي - ص 34.

8. خث ذوي : النبوية والعمل الأد - ص ص 85/83.
9. عمر مهيل : من النسق إ الذات - فراءات الفكر العر ا عاصر - ص 13.
10. م. نفسه - ص 14.
11. عبد الناصر حسن مد : نظرية التوصيل وقراءة النص الأد - ص 49.
12. عبد ا الغدامي : ا طينة والتكف - ص 45.
13. خث ذوي : النبوية والعمل الأد - ص 30.
14. Marc Gontard: Post-modernisme et littérature- « Œuvres et critiques » - vol.23- 1998-pp 32/33.
15. الدليل السيميولوجي- ص 17.
16. دليل هيدي إ ما بعد النبوية وما بعد ا دائة- م.مذكور- ص 18.
17. م. نفسه- ص 19.
18. م. نفسه- ص 19.
19. Pierre Machery: Querelles cartésiennesII - 2002- article.lien : stl.recherche.univ - lille3.fr / seminaires / philosophie / macherey/
20. ibid.
21. دليل هيدي إ ما بعد النبوية وما بعد ا دائة- م.مذكور- ص 138.
22. جوناثان كالر : النظرية الأدبية- تر: يسي بوغرارة- منشورات الترة اللسانيات والأدب- جامعة فسنطينة- 2008- ص 116.
23. م.نفسه- الصفحة نفسها.
24. م.نفسه- الصفحة نفسها.
25. دليل هيدي إ ما بعد النبوية وما بعد ا دائة- م.مذكور- ص 142.
26. م.نفسه- ص 141.
27. Denis huisman, marie-agnès malfray : Denis Huisman et Marie-Agnès Malfray, *Les pages les plus célèbres de la philosophie occidentale. De Socrate à Foucault*- ed. perrain- paris-2000- p632-
28. Jacques Derrida : L'écriture et la différence- seuil-Paris-1967-p 166.